اسم الدرس : تفسير سورة الأعراف (١٨) | الآيات [١٦٠ : ١٦٦]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

نستكمل بإذن الله ﷻ المجلس الثامن عشر في مدارسة سورة الأعراف.

❖ قصة بني إسرائيل:

كنا توقفنا عند قوله ﷻ: {وَقَطَّعناهُمُ اثنَتَي عَشرَةَ أَسباطًا أُمَمًا وَأَوحَينا إِلى موسى إِذِ استَسقاهُ قَومُهُ أَنِ اضرِب بِعَصاكَ الحَجَرَ}[الأعراف ١٦٠] تكلمنا في ختام المرة الماضية كيف أن بني إسرائيل دخلوا في الأغلال ودخلوا في الإصر بسبب كثرة عنادهم وكثرة معاصيهم، وأن الحل الأوحد في هذا الزمان لخروجهم من الأغلال التي كانت عليهم ومن الإصر هو أن يتبعوا النبي ﷺ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل.

إذًا التوراة والإنجيل الآن لا تصلح للعمل، جاء القرآن مهيمنًا على التوراة والإنجيل، وأيضًا التوراة والإنجيل حُرفا، **فدين الإسلام هو الدين الخاتم**، الدين العالمي الذي لن يقبل الله ﷻ من أحد في هذا الزمان إلا الإسلام {وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلامِ دينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ}[آل عمران ٨٥].

فجاءت هذه الآيات معترضة في وسط قصة بني إسرائيل حتى تبين لنا أن خروجهم من الأغلال ومن الإصر الذي نزل عليهم بسبب عنادهم يكون باتباعهم للنبي ﷺ، هو الذي جاءهم يبين لهم كثيرًا مما يخفون، هو الذي جاءهم يحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، والذي جاءهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﷺ.

ثم ختام الآيات المرة الماضية قال ربنا ﷻ: {وَمِن قَومِ موسى أُمَّةٌ يَهدونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعدِلونَ}[الأعراف ١٥٩] أي: ليس كل بني إسرائيل كانوا على هذه الشاكلة بل كان فريق منهم يعملون بطاعة الله ﷻ، وهذا سيكون معنا اليوم أنه كانت هناك طائفة تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر كما سيأتي في قصة أصحاب السبت.

تبدأ الآيات التي معنا اليوم بقوله ﷻ: {وَقَطَّعناهُمُ اثنَتَي عَشرَةَ أَسباطًا أُمَمًا وَأَوحَينا إِلى موسى إِذِ استَسقاهُ قَومُهُ أَنِ اضرِب بِعَصاكَ الحَجَرَ فَانبَجَسَت مِنهُ اثنَتا عَشرَةَ عَينًا قَد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشرَبَهُم وَظَلَّلنا عَلَيهِمُ الغَمامَ وَأَنزَلنا عَلَيهِمُ المَنَّ وَالسَّلوى كُلوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقناكُم}[الأعراف ١٦٠].

هذه الآيات تتضمن ثلاث قصص: الاستسقاء، وتظليل الغمام، ونزول المن والسلوى.

اختلف المفسرون متى حدث هذا الأمر، متى حدثت قضية الاستسقاء، متى طلب قوم موسى منه أن يستسقي لهم، ومتى كان تظليل الغمام، ومتى كان نزول المن والسلوى. **جمهور المفسرين وجماهير المفسرين أن هذا كان في فترة التيه.**

❖ مقارنة بين سرد القصة في سورة البقرة وسورة الأعراف:

سورة الأعراف تتميز في قصة بني إسرائيل عن سورة البقرة أن **سورة الأعراف** بنسبة كبيرة جدًا **السرد القصصي عن بني إسرائيل هو على حسب التدرج التاريخي؛**

أي من أول ذهاب موسى عليه السلام إلى فرعون، وإنقاذ موسى لبني إسرائيل، ثم عبور البحر، ثم الجرائم التي فعلها بنو إسرائيل إلى آخر اللحظات. هذا فيه نوع من التطور التاريخي أو سرد التتابع التاريخي التناسق الزمني.

أما في سورة البقرة تجد أنه يوجد قصة ثم قصة بعدها، القصة التي جاءت بعدها حدثت زمنيًا قبلها، لكن في الترتيب في سورة البقرة جاءت بعدها، وهذا جعل بعض المستشرقين يستنكر حدوث هذا في مثل سورة البقرة، وقال إن القرآن غير منظم والقرآن عشوائي.

حسنًا، لو أنت تتكلم عن الأحداث التاريخية فهي موجودة في سورة الأعراف بترتيب زمني معين، لذلك عندنا هنا أن قصة الاستسقاء وقصة الغمام والمن والسلوى جاءت قبل و{إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ}[الأعراف ١٦٠] آية ١٦٠ وآية ١٦١، لكن في سورة البقرة الآيتان معكوستان، آية ٥٨ و٥٩ قصة دخول الأرض المقدسة وآية ٦٠ في سورة البقرة قصة الاستسقاء {وَإِذِ استَسقى موسى لِقَومِهِ}[البقرة ٦٠].

لذلك كان من أسباب تأليف السفر العظيم للشيخ عبد الله دراز كتاب "النبأ العظيم" كان الانتقادات التي وجهت للقرآن ومنها العشوائية، وخاصة في سورة البقرة، فكتب عن إعجاز القرآن وأفرد شوطًا طويلًا في كتاب "النبأ العظيم" وقد يكون هو الشوط الأكبر أصلًا والمقصد الأساسي لتأليف الكتاب؛ لبيان تناسق وتناغم سورة البقرة.

لأن القضية القرآن ليس كتابًا تاريخيًّا، قد تكون هذه التقسيمة .. ويوجد استنباطات رائعة لكثير من أهل العلم كالشيخ عبدالله دراز والدكتور فريد الأنصاري -أسأل الله أن يرحمه- في مسألة ترتيب لماذا جاءت هذه الجرائم على هذا النسق في سورة البقرة، قد يكون كل مجموعة من الجرائم المتناسبة مع بعضها البعض جاءت متتالية ليس القضية السرد التاريخي.

لكن في الأعراف رُوعي هذا الأمر -قضية السرد التاريخي- :

فنجد أن هنا في سورة الأعراف في البداية بنو إسرائيل كانوا تحت تعذيب فرعون، ثم أنقذهم الله ﷻ، فمروا على قوم يعكفون على أصنام طلبوا أن يكون لهم آلهة، أعرض عنهم موسى عليه السلام ووبخهم ثم ذهب لميقات ربه، ثم عاد بالتوراة وجدهم يعبدون العجل، ثم ذهب إلى ميقات آخر معه السبعون ليعتذر، فنزلت الرجفة على السبعين.

فعاد موسى مرة أخرى إلى قومه وأمرهم أن يذهبوا إلى الأرض المقدسة، وهذا موجود في سورة المائدة، فأعرضوا عن الذهاب إلى الأرض المقدسة، فكانوا في التيه، فظلوا فترة في التيه، ومات هارون أولًا ثم مات موسى عليه السلام في التيه.

ما ذكرته الآن بصورة مختصرة هذا ما عليه جمهور المفسرين؛ لذلك {وَقَطَّعناهُمُ اثنَتَي عَشرَةَ أَسباطًا أُمَمًا وَأَوحَينا إِلى موسى إِذِ استَسقاهُ قَومُهُ}[الأعراف ١٦٠] الاستسقاء، الغمام، والمن، والسلوى جماهير المفسرين على أن هذا حدث في التيه.

إذًا متى كانت فترة التيه؟

قول أكثر المفسرين :

أنها كانت أثناء سير موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر إلى الأرض المقدسة.

أصلًا موسى عليه السلام جاء إلى مصر لينقذ بني إسرائيل ويأخذهم ويعود بهم إلى مجد آبائهم في الأرض المقدسة التي كان فيها يعقوب عليه السلام؛ لأن سيدنا يعقوب -إسرائيل- كان في الأرض المقدسة، وسيدنا يوسف كان معه، ثم بعد ذلك أتى يوسف عليه السلام إلى مصر، ثم يوسف أخذ مجموعة من بني إسرائيل لما استدعى إخوته إلى مصر.

فأراد موسى عليه السلام أن يعود بقومه مرة أخرى إلى الأرض المقدسة، وإعادة الاستخلاف في الأرض مرة أخرى على يد بني إسرائيل في الأرض المقدسة؛ لأن دائمًا وغالبًا على مدار التاريخ الذي يسيطر على الأرض المقدسة في الشام وفلسطين -فلسطين تدخل في مصطلح الشام أحيانًا- غالبًا هو الذي يكون له التمكين في الأرض؛ لذلك كان من علامة قرب تمكين النبي ﷺ بالانتقال من مكة للمدينة أنه ذهب في الإسراء ليصلي إمامًا بالأنبياء في الأرض المقدسة في بيت المقدس.

فالشاهد أن سيدنا موسى أخذ بني إسرائيل ليذهب بهم إلى الأرض المقدسة، فأمرهم بالجهاد، أي أن سيدنا موسى أخذ بني إسرائيل وفُلق له البحر، ثم كان في الطريق، أثناء الطريق أمرهم بالدخول والجهاد في الأرض المقدسة، فرفض غالب بني إسرائيل فعوقبوا بالتيه.

وهكذا دائمًا الذي ينكس عن الجهاد وعن البذل لنصر الدين يُعاقب بالتيه، لا يرى الحق، كلما أعرض الإنسان عن شرع الله ﷻ أصيب بنوع من الظلام والعمى والتيه، كما تكلمنا في المرة الماضية أن الإعراض عن شرع الله ﷻ يؤدي إلى غياب العلم وقلة العلم وقلة النور وقلة البصيرة.

فقال جمعٌ من المفسرين بل جماهير المفسرين إلا قلة قليلة أشير إلى قولهم الآن بإذن الله ﷻ، **جماهير المفسرين قالوا إن هذا حدث في التيه**، وهذا جعل كثيرًا من الناس يتعجب أن سيدنا موسى يضرب الحجر بعصاه ويخرج الماء، والغمام في الحر تكون معهم سحابة تظلهم في الحر، وأن يكون الطعام ينزل عليهم المن والسلوى، **كل هذا يكون في التيه الذي هو أصلًا عقوبة**.

○ وقفة: تأمل لُطف الله حتي في العقوبة :

فقالوا هذا من لطف الله في عقوبته وأن عقوبة الله ﷻ لا تخلو من لطفه –سبحانه وتعالى–؛ لأن العقوبة التي تخلو من اللطف هي الهلاك المبين وهي العذاب، فحتى في العقوبة كان ينزل عليهم المن والسلوى، وكان يظلهم الغمام وكان موسى عليه السلام يضرب بعصاه الحجر ويُخرج الله ﷻ لهم الماء من الحجر عندما يضرب موسى بعصاه الحجر.

فانظروا كيف كانت معاملة الله ﷻ لبني إسرائيل، كانت معاملة فيها لطف ورأفة ورحمة، وكيف كانوا بالرغم من العقاب أنهم كانوا في التيه معاقبين إلا أن الله ﷻ لم يرفع عنهم اللطف والرأفة والرحمة بهم!

قول جمعٌ قليل من المفسرين:

قال جمعٌ: لا، إن هذا لم يحدث في التيه، قال: غير معقول أن هذه الكرامات تحدث في التيه! إذًا متى حدثت هذه الكرامات؟!

قالوا: إن سيدنا موسى مر بمرحلة وهو يسير في الصحراء من لحظة عبور البحر إلى أن جاء الأمر بالجهاد، وقبل أن يأتي الأمر بالجهاد ويعرضوا، في هذه المرحلة من السير هي التي كان فيها الغمام، وضرب العصا للحجر، وكان فيها المن والسلوى، لكن بمجرد أن دخلوا في التيه رفعت هذه الكرامات عنهم.

وهذا اختاره بعض المتأخرين وذكر بصيغة التمريض – أي تضعيف الراوي أو الحديث أو هي أداء الحديث بصيغة تحتمل عدم الثبوت أو تطرق الشك إليه في الغالب– ، ذكره الرازي وابن عطية وغيره ومال إليه ابن عاشور من المتأخرين؛ لكن الذي عليه جماهير المفسرين والمؤرخين أن هذا حدث أثناء التيه.

إذًا {وَقَطَّعناهُمُ اثنَتَي عَشرَةَ أَسباطًا أُمَمًا وَأَوحَينا إِلى موسى إِذِ استَسقاهُ قَومُهُ}[الأعراف ١٦٠] هذه الأحداث من الاستسقاء والغمام والمن والسلوى على رأي جماهير المفسرين حدثت في مرحلة التيه.

ولماذا دخلوا في التيه؟! لأنهم أعرضوا عن الجهاد، أعرضوا عن القتال، والتفصيل موجود في سورة المائدة {ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}[المائدة ٢١].

هل اتضحت لديكم التقسيمات؟ لأن أيضًا سيأتي خلاف آخر.

كان يوجد بحث صغير جميل قرابة خمسين صفحة اسمه "تيه بني إسرائيل بين القرآن والتوراة" للدكتور أعتقد اسمه نضال عباس دويكات البحث جيد ويحاول أن يجمع كل ما قيل في التوراة، وطبعًا يستند إلى أن الأصل في القرآن، ويذكر الاختلافات في مسألة التيه، ومتى كان، وهل الكرامات كانت موجودة في التيه أو قبل التيه، وذكر آراء المفسرين.

نعود إلى الآيات {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا} [الأعراف ١٦٠]

❖ **لماذا قطعوا؟ لماذا قسموا إلى فرق وأمم وأسباط؟**

- قال الطبري: بسبب اختلافهم في الدين؛ كانوا مختلفين مع بعض.
- قال الزمخشري: لقلة الألفة بينهم؛ كانوا يبغضون بعضهم البعض، فلن يستقيم أن يكونوا مجموعة واحدة، فكانوا مقسمين.
- المتقدمون مثل: الطبري والزمخشري قالوا: إن كلمة وقطعناهم هذه عقوبة {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا}[الأعراف ١٦٠] **هذه التقسيمة عقوبة.**
- ابن عاشور قال: لا، هذه ليست عقوبة، السياق كله هنا: الاستسقاء، الغمام، المن، السلوى، **السياق في هذه الآية كله فيه منَّة ونعم**، فقال: هذا من ضمن النعم ومن باب السياسة الشرعية؛ عندما يكون هناك جيش كبير فحتى لا تحدث اختلافات ويسهل قيادة هذا الجيش يتم تقسيمه.

وعلم الله ﷻ موسى كيف يقسم الناس، اثنا عشر سِبط –العائلة– وهم كانوا عائلات مقسمة من لدن إسحاق عليه السلام، اثنا عشر عائلة أو اثنا عشر قبيلة، وكيف يضع على كل قبيلة نقيب، وكيف النقيب هو الذي يبلغه أخبار من تحته، أن هذه التقسيمات تصلح للجيوش كما فعل النبي ﷺ وهو ذاهب للحديبية كان ألف وأربعمائة وأربعة عشر لواءً تقريبًا. فكيف أن هذه نعمة ومنة علمها الله ﷻ لموسى عليه السلام. فكان يوجد ترتيب للقوم.

❖ وقال بعضهم: لا، هذا من شدة عنادهم وعتوهم كانوا يختلفون حتى في وقت التيه، وهذا للأسف نلاحظه؛ أن أحيانًا الناس في وقت الاستضعاف بدل أن تتكاتف نجدها تتناحر وتتنازع.

فهنا كما قال ربنا ﷻ من أسباب أن الحجر ينقسم إلى اثنتي عشرة عينًا {اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} كما في سورة البقرة، لماذا انقسم بهذه الطريقة؟ قال: حتى لا يتنازعون، فقال ربنا ﷻ هنا وفي سورة البقرة: {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ}[١] حتى لا يتنازعون مع بعض، لأنهم سيتنازعون مع بعض بسبب المياه.

انظر كيف كان في جهاد النبي ﷺ كانت تكفيهم ركوة من ماء بئر بسيطة أو يضع النبي ﷺ إصبع من أصابعه الشريفة في الماء وينبع الماء من بين أصابعه الشريفة ليكفي الجيش بأكمله، ولا يتنازعون.

كان صحابة النبي ﷺ يمرون بنفس الأزمات لأنهم في صحراء والمفترض أنهم ذاهبون إلى الجهاد، كان الصحابة يمرون بنفس الأزمات وكانوا لا يتنازعون.

لكن هؤلاء كانوا يتنازعون وكانوا يتناطحون فيما بينهم، فقال ربنا ﷻ: {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ}.

إذًا؛ منهم من رأى أن هذا بلاء ومنهم من رأى أن هذا نعمة.

❖ خلاف لغوي:

{وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا}[الأعراف ١٦٠]، يوجد هنا في التفاسير وقفة طويلة عند مسألة لغوية –ولكن حتى إذا وجدها أحدكم في التفاسير يفهمها–، أن المفترض أن تمييز العدد .. وهذه دائمًا من القضايا المشكلة في النحو، إعراب العدد وتمييزه هل موافق أم مخالف؟ مذكر أم مؤنث؟ فقالوا:

- أن اثنتي عشرة كان متوقعًا أن تمييزها يأتي مفردًا، أنت تقول: ثلاثة عشر قلمًا، اثنا عشر قلمًا، أربعة عشر كتابًا، ولا تقول: ثلاثة عشر أقلام، اثنا عشر أسباط، فقالوا المتوقع "وقطعناهم اثنتي عشرة سبطاً" فيأتي مفردًا.
- وأيضًا قالوا: حتى لو جاء مفردًا، هل "السِبط" مذكر أم مؤنث؟ السبط مذكر، فقالوا: إن المفترض العدد واحد واثنين يأتي متوافق التذكير والتأنيث مع تمييزه، أي: اثنا عشر سِبطًا.

---

[١] ١. وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿البقرة: ٦٠﴾

٢. وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿الأعراف: ١٦٠﴾

فقالوا: إن "أسباطًا" هنا إعرابها ليس تمييزًا أصلًا، هنا التمييز محذوف تقديره "فرقة" مؤنثة أو "قبيلة"، فيكون "أسباطًا" إعرابها هنا بدلًا.

لأن هذه من الإشكاليات، لأن بعض المستشرقين يدَّعون وجود أخطاء في القرآن، إذا كنتم تعتبرون هذه من الأخطاء؛ فقد جاءت قبل ذلك {اثنتي عشرة عينًا} فالذي لم يخطئ في هذه لا يخطئ في الأولى، المستشرقون المعاصرون أحيانًا يعتقدون أنهم أمسكوا خطأ فات العرب أهل اللغة، الذين كانوا يبحثون عن أي خطأ أو مأخذ في القرآن، فات أبو جهل مثلًا! يظنون أنهم أمسكوا شيئًا ويكون الأمر بسيطًا جدًا.

والعلماء تكلموا في هذه -لكن لا أريد أن أطيل عليكم- في الزمخشري وحاشية الطيبي عليه، تكلموا في قيمة أنه لماذا جاء هنا جمع أسباط وما الفائدة التي نحصل عليها استفاضوا فيها. الشاهد أن تعرفوا لأن كان أحدهم سألني هذا السؤال: كيف يأتي هنا التمييز جمع وأيضًا مذكر؟

وللعلم أيضًا ستجدون الشين في "عشْرة" تكون ساكنة عندما يكون المعدود مؤنثًا ومفتوحة مثل: {أحد عشَر كوكبًا}[يوسف ٤] مفتوحة عندما يكون مذكرًا، فهذا إعراب العدد.

وستجدون المفسرين هنا استفاضوا كي يردوا على الإشكالية، فتعرف لماذا هم يستفيضون هنا، لأن بعض الناس يفتعل إشكاليات ويتهم القرآن بالتناقض.

○ {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[الأعراف ١٦٠]

- {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا}[الأعراف ١٦٠] وكأن كل سبط أصبح أمة والأمة هي التي تؤم، لها مقصد واحد، فأمة الإسلام أمة واحدة، فهم أصبحوا أممًا، أي؛ أصبحوا رغبات مختلفة متنازعين، وهذا يؤيد القول بأنه حدث تنازع ما بينهم، فكلمة أمم جمع لأن الأمة كأنها تؤم شيئًا، لها إمام، لها مقصد مختلف، فأصبحت مقاصدهم مختلفة اختلفوا مع بعضهم.
- {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ }[الأعراف ١٦٠] طلب منه قومه الماء فطلب من الله ﷻ.

- فقال له ربه ﷻ: {اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ }[الأعراف ١٦٠].

○ حسن التوكل علي الله:

العجيب أن **سيدنا موسى لم يكن يتعامل بالعصا إلا بعد أن يأتيه الوحي؛ لأنه كان معلق القلب بالله لا بالعصا**؛ أي أن سيدنا موسى كل مرة يقول له ربنا اضرب بعصاك: مع الثعابين، السحرة، مع البحر، مع الحجر، لكن في كل مرة كان ينتظر الوحي، إن موسى عليه السلام كان معلق القلب بالله، يعلم أن هذه العصا مجرد سبب، ينتظر الأمر من الله ﷻ لم يكن يطلبون منه الماء فيضرب بعصاه الحجر، لا بل ينتظر الوحي.

- {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ}[الأعراف ١٦٠] في البقرة {فَانفَجَرَتْ}[البقرة ٦٠] قالوا: الانبجاس؛ هي بداية نزول الماء ويكون أمر خروج من ضيق وأشبه بالعرق على الصخر، ثم بعد ذلك حدث انفجار، فقالوا: الأعراف وصفت بداية الحدث والبقرة وصفت نهاية الحدث.

{فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}[الأعراف ١٦٠] ستجد أن "عينًا" مؤنثة وجاءت الشين ساكنة اثنتا عشْرة عينًا.

- لماذا اثنتا عشرة عينًا؟ {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ}[الأعراف ١٦٠].

نجد عندنا حديثًا في صحيح مسلم عن الأشعريين لما كان النبي ﷺ يمدحهم، -الأشعريين غير الأشاعرة؛ الأشاعرة هذه فرقة عقدية، لكن الأشعريين كانوا موجودين في عهد النبي ﷺ.

جاؤوا من اليمن، كان النبي ﷺ يمدح الأشعريين لأنهم إذا كانوا أرملوا وإذا كانوا في السفر وقل زادهم، ماذا كانوا يفعلون؟ كانوا يعملون شيئًا حسنًا جدًا، كانوا يجمعون زادهم كلهم، كل واحد معه شيء يضعه، هذا معه بُر، هذا معه شعير، هذا معه الرز .. **يجمعون كل الذي معهم ثم يقتسمونه بالسوية**، هذا معه عشر كيلو، وهذا معه اثنين كيلو، وهذا معه نصف كيلو، وهذا معه عشرون جنيهًا .. كل هذا يضعوه مع

بعض عندما يقل الزاد في السفر، في وقت الضيق يتكاتفون. فقال النبي ﷺ: (أنا منهم وهم مني)[٢]، هذا فعل ممدوح.

عندما يكون هناك تنافرًا في الأخلاق يصعب أنك تطلب من الناس أن يفعلوا فعل الأشعريين، فالحل للقائد الحكيم أنه يرى المجموعة التي معه فإذا كان بينهم تنافر يقسمهم، {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ}[الأعراف ١٦٠] لا يشرب أحد من العين التي ليست له حتى لا يتشاجرون مع بعضهم.

رغم أنهم في التيه وفي الاستضعاف، ولتوّهم خرجوا من أذى فرعون، لكن للأسف هذه أخلاق منتشرة، الناس لا تقدر الظروف المحيطة، فـ {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ}[الأعراف ١٦٠].

لو الناس عندها استعداد للتكاتف والترابط ممكن نفعل فعل الأشعرية أن نتقاسم بالسوية، وهذا الفعل الأفضل والفعل الذي مدحه النبي ﷺ .

- {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ}[الأعراف ١٦٠] **هذه المنَّة الأخرى** والنعمة الأخرى؛ أن كانوا في الحر في الصحراء وكان معهم سحابة، وكلما تخيل الإنسان أن هذا يحدث في وقت العقوبة، أي في وقت العقوبة من الذنب، أي أن إنسانًا يذنب فيعاقب فيجد فترات العقاب هي محفوفة باللطف، أي أنه من الممكن أن أحدًا عمل ذنبًا كبيرًا ويعاقب بسبب ذنبه وفي أثناء العقاب يرسل الله ﷻ من يصبره، من يذكره بالله، هو اللطيف ﷻ.
- {وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا}[الأعراف ١٦٠]

قيل: وما ظلمونا أي بعدم دخولهم للأرض المقدسة لما أعرضوا عن الجهاد.

أو وما ظلمونا لما قال الله ﷻ لهم: كلوا ولا تدخروا، ذكر في بعض الآثار أن الله كان يقول لهم ذلك حتى يظلوا معلقي القلب بالله، كان الطعام ينزل لهم كل يوم، أي اليوم بيومه، أي اليوم الأكل ينزل لهم، فبنو إسرائيل دائمًا عندهم مكر ومراوغة وخديعة، عندهم سوء ظن بالله، فكانوا يدخرون. ربنا ﷻ كان أمرهم ألا يدخروا فادخروا خوفًا أن الأكل لا ينزل غدًا، وسيدنا موسى وعدهم أن الطعام سينزل والذي أنزله أول مرة ينزله ثاني مرة.

[٢] [عن أبي موسى الأشعري:] إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذا أرْمَلُوا في الغَزْوِ، أوْ قَلَّ طَعامُ عِيالِهِمْ بالمَدِينَةِ جَمَعُوا ما كانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ واحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بيْنَهُمْ في إناءٍ واحِدٍ بالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وأنا منهمْ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٢٤٨٦ • [صحيح]

فلما ادخروا عاقبهم الله ﷻ، وكان الأكل يصيبه الدود والعفن بسبب ادخاره.

وهذا أمر عجيب جدًا، لذلك طلبوا من موسى عليه السلام قالوا له: لا نحن لم نعد نريد هذا الأكل من السماء، ادع ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض، نريد أكلًا من الأرض، نحن من نزرعه ونحصده، أكون واثقًا أنه بيدي، إنما يأتي من السماء ولا أعرف كيف أنزله!

انظر كيف عندهم سوء ظن بالله! {فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا}[البقرة ٦١] قال اهبطوا مصراً أنتم أصلًا يناسبكم الذل وليس الحرية ولا يصلح لكم هذه النعم والحرية، أنتم حلكم فرعون، {اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ}[البقرة ٦١] ويوجد آثار في الإسرائيليات وموجودة في التوراة أنهم لما قال لهم: اذهبوا للجهاد، ظلوا يصرخون ويتباكون ويقولون سلطت علينا السيف، ونريد أن نعود إلى مصر مرة أخرى، وهموا بوضع رئيس عليهم غير موسى عليه السلام ويعودون إلى مصر مرة أخرى، قالوا: إن الحياة في مصر كانت أفضل من الجهاد.

هناك شعوب تعودت المذلة والمهانة ولا تريد دفع ثمن الحرية، ولا تريد دفع ثمن أن يكون لها رأي ويكون لها عزيمة وقوة، فقال ربنا ﷻ: {وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[البقرة ٥٧] كانوا أنفسهم يظلمون بترك الجهاد، كانوا أنفسهم يظلمون بالإدخار.

○ {وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ}[الأعراف ١٦١]

{وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذ قِيلَ لَهُمُ اسكُنوا هَٰذِهِ القَرْيَةَ وَكُلوا مِنها حَيثُ شِئتُم وَقولوا حِطَّةٌ وَادخُلُوا البابَ سُجَّدًا نَغفِر لَكُم خَطيـٰتِكُم سَنَزيدُ المُحسِنينَ}[الأعراف ١٦٠-١٦١] هنا يوجد أكثر من ثمانية أوجه فروقات بين هذه الآية وآية البقرة، والرازي استفاض في الفروقات البلاغية لمن أراد أن يرجع لها وفاضل السامرائي من المعاصرين.

- الشاهد: متى حدث هذا الأمر؟ {وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ}[الأعراف ١٦١] قالوا: إن هذا حدث.. نحن قلنا في سورة الأعراف أنها تتميز عن سورة البقرة بذكر الأحداث حسب الترتيب التاريخي، لكن هناك في سورة البقرة ذكرت آية ادخلوا الأرض أولًا وبعدها الاستسقاء.

❖ فنحن سنتبع رأي جمهور المفسرين:

قالوا إن الذي حدث أولًا الآية (١٦٠)، أنهم كانوا في تيه، ومات هارون عليه السلام ومات موسى عليه السلام في التيه، لماذا؟ لأنهم رفضوا دخول الأرض المقدسة فعوقبوا بالتيه أربعين سنة يتيهون في الأرض.

فلما ندم موسى على الدعاء الذي دعاه على قومه قال الله ﷻ له: {فَلا تَأسَ عَلَى القَومِ الفاسِقِينَ}[المائدة ٢٦] هم يستحقون، فلما ماتوا في التيه ونشأ جيل آخر في الصحراء معتمدًا على نفسه بعيدًا عن واقع الذل والمهانة الذي عاشه الآباء والأجداد في مصر، لما نشأ هذا الجيل استعدوا للقتال، فقام يوشع بن نون وقال لهم: {ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ}[المائدة ٢١]، وبالفعل قاموا وقاتلوا ودخلوا الأرض المقدسة؛ لذلك قيل لهم هنا اسكنوا هذه القرية لأنهم فتحوها.

- {اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ}[الأعراف ١٦١] أي؛ وأنتم داخلون منتصرون بعد أن نصركم الله ﷻ قولوا: حطة؛ يا رب حط عنا خطايانا، حطة أي؛ **اغفر لنا خطايانا**، يطلبون من الله ﷻ أن يحط عنهم خطاياهم وذنوبهم وتقصيرهم.
- {وَقُولُوا حِطَّةٌ}[الأعراف ١٦١]

لا بد للإنسان دائمًا في مواطن البذل والجهاد أن يتذكر تقصيره

- وفي سورة آل عمران {وَما كانَ قَولَهُم إِلّا أَن قالوا رَبَّنَا اغفِر لَنا ذُنوبَنا وَإِسرافَنا فِي أَمرِنا وَثَبِّت أَقدامَنا وَانصُرنا عَلَى القَومِ الكافِرِينَ}[آل عمران ١٤٧] هؤلاء هم الربيون الكثير الذين قاتلوا مع الأنبياء فقال لهم: قولوا حطة.
- كذلك فعل النبي ﷺ في لحظات الفتح {إِذا جاءَ نَصرُ اللَّهِ وَالفَتحُ * وَرَأَيتَ النّاسَ يَدخُلونَ فِي دينِ اللَّهِ أَفواجًا * فَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ وَاستَغفِرهُ إِنَّهُ كانَ تَوّابًا}[النصر ١-٣]، فأمرهم الله ﷻ بالاستغفار.
- لذلك النبي ﷺ لما دخل مكة فاتحًا دخل متواضعًا مطأطئًا رأسه الشريفة ﷺ وصلى ثماني ركعات، قال بعض أهل العلم: إنها صلاة الفتح، وقال بعضهم: إنها صلاة الضحى، واستحب للإمام الذي ينتصر في المعركة أن يصلي ثماني ركعات –سواء بتسليم أو من غير تسليم على خلاف–،

يصلي ثماني ركعات شكرًا لله ﷻ أن فتح الله له هذه البلاد، فهنا أمرهم الله ﷻ أن يتذكروا نعمته عليهم.

- {اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا}[الأعراف ١٦١] طلب منهم الشكر بالقول وبالفعل أن يسجدوا شكرًا لله أو يدخلوا راكعين على اختيار الطبري في سورة البقرة، وأن يقولوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، فماذا فعلوا؟

○ {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ}[الأعراف ١٦٣]

❖ تفسير جمهور المفسرين لهذه الآيه:

{وَقولوا حِطَّةٌ وَادخُلُوا البابَ سُجَّدًا نَغفِر لَكُم خَطيئَاتِكُم سَنَزيدُ المحسِنينَ * فَبَدَّلَ الَّذينَ ظَلَموا مِنهُم قَولًا غَيرَ الَّذي قيلَ لَهُم}[الأعراف ١٦١-١٦٢] رفضوا أن يقولوا حطة، وذكرت روايات أنهم قالوا: "حنطة" أو "حبة في شعيرة".

❖ **لماذا قالوا حنطة؟**

- قال بعض أهل العلم قالوها استهزاءً، أي لماذا نطلب من الله أن يغفر ذنوبنا؟ لماذا؟ ماذا فعل لنا الله؟ نحن الذين انتصرنا، فقالوها استهزاءً بكلام نبي الله لهم.

هم بمجرد أنهم عبروا البحر قالوا: {اجعل لنا إلهاً}[الأعراف ١٣٨]، بمجرد أن انتصروا قالوا: "حنطة"، لا نحتاج ربنا في شيء، هكذا بنو إسرائيل ومن سار على أخلاقهم من هذه الأمة، هم في لحظات الضيق يطلبون من الله وبمجرد أن يجتازوا حالة الضيق يقولون نحن لا نحتاج ربنا في شيء ويستهزئون.

فالنبي يوشع بن نون قال لهم: اطلبوا من الله أن يغفر لكم ذنوبكم، فقالوا: حنطة.

- وقال بعض المفسرين: لماذا قالوا :حنطة؟ قالوا: لأنهم لا يفكرون إلا في الطعام، أنت تقول لنا: الذنوب! نحن نريد طعامًا، قولوا: حطة فقالوا: حنطة، نحن نريد المادة أنت تكلمنا عن المغفرة! لا نحن نريد المادة، أن نمسك المادة بأيدينا.

❖ التفكير المادي لبني إسرائيل:

هذا تفكير مادي لبني إسرائيل، قالوا: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}[البقرة ٥٥] هذا التفكير المادي الذي استشرى اليوم أن كل المعايير معايير مادية، لا يوجد معايير معنوية فهنا {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ}[الأعراف ١٦٢] وهذا موجود في سورة البقرة بالتفصيل، ويحتاج استقصاء.

عقوبات بني إسرائيل :

ذكرت في خطبة عن سورة البقرة أن كل فعلة فعلها بنو إسرائيل كان لها عقوبة موازية، عقوبة الانتقاء – أنهم ينتقون من الدين– كان لها عقوبة، عقوبة التحريف والتأويل هنا كان لها عقوبة.

✓ هنا **عقوبة التبديل** {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ}[الأعراف ١٦٢] "رجز" قالوا: الطاعون أي؛ عذاب شديد يقلقل الإنسان فيه هزة عنيفة، هو الرجز أو الطاعون. {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ}[الأعراف ١٦٢]، وفي سورة البقرة {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[البقرة ٥٩]

فالشاهد أن تبديل شرع الله وتغيير كلمة مكان كلمة، وخاصة أن الكلمة مثلًا ليس أنهم عندما قال لهم الله: قولوا حطة فبدل أن يقولوا حطة أي حطّ عنا ذنوبنا قالوا كلمة غيرها في نفس المعنى؛ أي بدل أن يقولوا: "حطة" قالوا: "ربنا اغفر لنا ذنوبنا" فيكون اجتهادًا منهم مثلًا، لا، **لكنهم استهزأوا** وقالوا: "حنطة" ودخلوا زحفًا على إستاهم، لم يدخلوا سجدًا دخلوا يزحفون وهم قعود عكس السجود، أي لن نسجد ولن نركع، لسنا في حاجة إلى الله، لأن الدخول راكعين خاضعين لله والدخول بطلب المغفرة فيها معنى أن الله هو الذى نصرنا وأننا نشكر نصر الله لنا، وفتح الله لنا.

هؤلاء قالوا نحن لسنا محتاجين إلى الله فأعرضوا وقالوا حنطة، ودخلوا يزحفون على إستاهم وكأنهم قعودًا، ورفضوا السجود، **فبدلوا القول وبدلوا الفعل**، {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ}[الأعراف ١٦٢].

فخطورة تبديل الشرع وبأمر منافي، فمثلاً عندما يكون المقصد الأساسي من خلق الناس العبادة {وَمَا خَلَقتُ ٱلجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعبُدُونِ}[الذاريات ٥٦] فيأتي أحدهم ليعكس هذا المقصد تمامًا فيقول لا يلزمنا أن نعبد ربنا، فأحيانًا يأتي إنسان ويعكس مقصد الشريعة تمامًا، **فعقوبته شديدة سواء في الدنيا أو في الأخرة.**

{فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم قَولًا غَيرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُم فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِجزا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَظلِمُونَ}[الأعراف ١٦٢].

هذا السياق الذي ذكرته هو اختيار جمهور المفسرين، وهذا ما أميل إليه.

❖ تفسير المتأخرين لهذه الآيه:

وبعض المتأخرين اختار معنى آخر، قال: لا، أنا سأتبع سياق سورة البقرة وأن آية ادخلوا الأرض المقدسة هذا طلب من موسى عليه السلام لبني إسرائيل.

نحن قلنا إن كلمة اسكنوا الأرض المقدسة هنا من الذي طلب من بني إسرائيل هنا؟ يوشع بن نون وليس سيدنا موسى.

لذلك الدكتور فريد الأنصاري في سورة البقرة قال: الأمر بدخول الأرض المقدسة جاء مرتين في القرآن:

- مرة على لسان موسى ورفضوا فعوقبوا بالتيه.
- ومرة على لسان يوشع بن نون فوافقوا؛ ولكن أعرضوا بعد أن دخلوا.

أكرر؛

- الأمر بدخول الأرض المقدسة جاء مرتين في القرآن، مرة على لسان موسى فرفضوا من البداية فكانت العقوبة التيه.
- ومرة على لسان يوشع بن نون فوافقوا، فدخلوا ففتح الله عليهم، أعرضوا ولم يشكروا نعمة الله، فكانت العقوبة رجزًا من السماء.

وهذا الذي عليه جماهير المفسرين.

بعض المتأخرين قال: لا، إن كلمة اسكنوا الأرض المقدسة، هنا سيدنا موسى يقول لهم وقبل التيه: تعالوا ندخل الأرض المقدسة التي كتبها لنا الله.

قالوا إذًا ما كلمة {فبدل الذين ظلموا منهم قولًا غير الذي قيل لهم}[الأعراف ١٦٢] مع أن الحديث في البخاري (فقالوا حنطة)؟

ابن عاشور رفض هذه الرواية، وقال: إن الرواية موقوفة على أبي هريرة وغيره، رواية موقوفة من التي هو تلقاها من الإسرائيليات، الشاهد: أنه قال لا، ليس هذا التبديل، إذًا ما هو التبديل؟

من عجائب بعض المتأخرين وخاصةً ابن عاشور ورشيد رضا أنه يستنكر على بعض المفسرين المتقدمين أنه يستشهد بالإسرائيليات وهو بم يستشهد -ابن عاشور-؟ يستشهد من التوراة، أنت استنكرت عليهم أنهم استشهدوا بالإسرائيليات وأنت تنقل من التوراة!

وتجد أن رشيد رضا وابن عاشور من أكثر المفسرين المتأخرين يذكرون في تفسيرهم صفحات موجودة منقولة من التوراة كاملة وهي محرفة وهما متأخران.

الشاهد: قال إن التبديل قصة مشهورة أيضًا في الإسرائيليات أن سيدنا موسى بعث اثني عشر نقيبًا، يتجسسون على الأرض التي كانوا سيدخلونها -على خلاف أيًّا كانت هذه القرية- فذهبوا فوجدوا فيها الجبارين {إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ}[المائدة ٢٢] فلما رجعوا كان فيهم يوشع بن نون وكالب -رجل اسمه كالب- اتفقوا مع بعضهم أنهم لا يقولون لبقية بني إسرائيل عن قومهم لأنهم لو تكلموا مع بني إسرائيل عن قوة الجبابرة سيخافون. يعلمون أن بني إسرائيل يبحثون عن أي سبب للتراجع (يتلككون)، سنكلمهم عن ثمار هذه الأرض حتى نشجعهم على الجهاد، فذهب يوشع بن نون ومن معه -وهو كان كالب- ذهبا لسيدنا موسى ولبني إسرائيل قالا لهم: هذه أرض جميلة وأرض مقدسة وفيها ثمار وكذا وكذا، يشجعاهم على القتال.

العشرة الآخرين لم يفعلوا مثلهما -هم كانوا اثني عشر نقيبًا- العشرة الباقين قالوا لا: إن فيها قومًا جبارين، وسنقتل وسنقطع، وبثوا الفزع والرعب، **فقالوا هذا هو التبديل**؛ أن سيدنا موسى أمرهم أنهم لا يبثوا الفزع فبدلوا، فعاقب الله العشرة هؤلاء بالطاعون فماتوا أمام بني إسرائيل، هذه القصة مذكورة في التوراة وموجودة حتى الآن.

فقالوا: إن { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} أي؛ بث الفزع بين الناس، وبث الفزع بين الناس يحتاج إلى عقوبة فأماتهم الله بالطاعون أمام بني إسرائيل {فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ}[البقرة ٥٩] أو {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ}[الأعراف ١٦٢]، رجزًا من السماء، نزل عليهم الطاعون.

إذًا ماذا نستفيد نحن من هذه الآيات؟

١. لطف الله ﷻ حتى لو كان في التيه، حتى في العقوبة، تجد أن الإنسان حتى في عقوبة الله له يلطف به ﷻ.
٢. حتى لا ييأس الإنسان من رحمة الله ﷻ مهما كانت العقوبة لا ييأس.
٣. أن كل تأخير في تنفيذ الشرع يدخلنا في التيه، المرة الماضية تكلمنا أن المعاصي والإعراض عن الشرع وارتكاب الفواحش والمعاصي يؤدي إلى قلة العلم، وأن العلم يكون قليلًا بين الناس، الآن أيضًا المعاصي أدخلتنا في التيه، القصة التي نذكرها الآن المعاصي سببت قلة الرزق الحلال، أنت ممكن من خلال هذه القصة تبحث عن آثار المعاصي في حياة الناس، الغريب أن الناس قد لا يشعرون بأثر المعصية، كيف؟

نحن عندنا المعصية قللت العلم، فممكن يكون بموت العلماء، المعصية قللت العلماء وأدخلتنا في التيه، المعصية قللت الرزق الحلال لكن الرزق الحرام كان منتشرًا كما سنتكلم الآن في القصة مع أصحاب السبت، أي؛ قد تجد مجتمعًا يكون فيه الحرام منتشرًا، أهل العلم غير موجودين، قلة سواء ماتوا أو محبوسين أو أيًّا كان مكانهم، والنور والبصيرة قليلة وفي التيه والمجتمع لا يشعر أنه معاقب.

- فتسأله: هل ترى آثار العقوبة والذنوب والمعاصي؟ فيقول لك: عم تتحدث؟ ها هو الرزق موجود، تقول ولكن هذا حرام، هذا الرزق المنتشر هو حرام. قد لا يشعر الناس وهذه مصيبة، **قد لا يشعرون بآثار معاصيهم، وهذا هذا يجعلهم يتمادون في المعصية.**

○ {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[الأعراف ١٦٣]

ثم قال ربنا ﷻ: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت حَاضِرَةَ} [الأعراف ١٦٣] أمر من الله ﷻ للنبي ﷺ أن يسأل بني إسرائيل المعاصرين له عن القرية التي كانت حاضرة البحر.

بعض المفسرين قال: لماذا جاء الأمر هنا غير كل القصص التي كان الله يبدؤها مباشرة؟ لماذا هذه القصة تحديدًا أمر الله ﷻ النبي أن يسأل بني إسرائيل عنها؟

قال بعض أهل العلم: إن بنو إسرائيل لما كانوا يجدون أي شيء في تاريخهم فيه نوع من الخزي لهم كانوا يمسحونه.

فكانوا محوا هذه القصة من آثار كتبهم ومن كتبهم ومن أثره، وكان لا يعلمها إلا الأحبار العلماء فقط، لكن ليست موجودة في الكتب؛ لأن فيها أنهم مسخوا، يوجد فريق منهم مسخ قرده، فقال له هذا سيصيبهم بالعار، فكانوا مسحوا هذا القصة.

وإطلاع النبي ﷺ على هذه القصة ولا سيما أن جماهير العلماء على أن سورة الأعراف كلها مكية، ولم يخالط بني إسرائيل بعد، فإن النبي ﷺ يعلم تفاصيل هذه القصة، قصة أن جزء من بني إسرائيل فرقة منهم مسخت قردة، **هذا من علامات نبوته** ﷺ.

إذًا، فلماذا مسحها بنو إسرائيل من تاريخهم؟ قالوا: حتى لا يُعيروا، حتى لا يُعيرهم أحد، وهذه إشكالية في التعامل مع التاريخ، نحن المفترض أن نعترف بالخطأ الذي وقعنا فيه حتى نصلحه، لا بد للمصلح أن يعترف بالخطأ الذي وقع هو أو وقع فيه آباؤه وأجداده، حتى يقوم بإصلاح هذا الخطأ لا أن يغطيه ويتعامى عنه، ويستمر على نفس الطريق بإشكالية في التعامل مع التاريخ.

نحن نريد تصورًا مثاليًا، أو هكذا دائمًا يجب الأحفاد أن يكون هناك تصورًا مثاليًا، أي أن تاريخهم لا يوجد فيه أي خطأ تمامًا، لا هذا خطأ، البشر يخطئون ونتعلم من الأخطاء، فالمفترض أن بنو إسرائيل كانوا يتعلمون من هذه القصة، لكن هم قاموا بتغطيتها ومسحها ومحوها وتحريفها، فجاء النبي ليخبرهم بها.

- {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ} أيًّا كان، جماهير المفسرين أن هي قرية اسمها "أيلة" وبعض المعاصرين قال إنها الآن تسمى "العقبة" تمر بها وأنت خارج من مصر متجهًا إلى الشام.
- {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ}الشاهد أنها قرية كان أهلها يصطادون.
- {حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ} أهم لحظة في لحظات هذه القرية هذه اللحظة مهمة جدًا، {إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ} لماذا كانوا يعدون في السبت؟ {إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لا تأتيهم}.

❖ لماذا فرض الله ﷻ على بني إسرائيل السبت؟

مجموع الروايات الموجودة في البخاري ومسلم وبقيتها في الإسرائيليات، أن الله ﷻ اختار يومًا للبشر يكون في هذا اليوم جزء من اليوم خالص العبادة لله.

فيُقال أن موسى عليه السلام –الذي أقوله هذا خارج الصحيحين– أن موسى عليه السلام قال لهم: الجمعة فرفضوا وقالوا: نريد السبت، لماذا أرادوا السبت؟ قالوا إن الله ﷻ بدأ الخلق من يوم الأحد وانتهى يوم الجمعة، فقالوا –هم يدعون ذلك تعالى الله عما يقولون– أن الله استراح يوم السبت، فنحن نستريح أيضًا يوم السبت، وهذا قياس فاسد، أولًا عقيدة فاسدة، ونشأ عنها قياس فاسد، فاختاروا السبت، فلما اختاروا السبت عوقبوا أن اليوم كله ممنوع فيه أي عمل دنيوي.

النصارى اختاروا الأحد، لذلك قال النبي ﷺ (هدينا إلى الجمعة) هذا في الصحيح، نحن وُفِّقنا للجمعة، (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة)، نحن الآخرون زمانًا في الدنيا الأولون يوم القيامة، (فنحن لنا الجمعة ولليهود غد وللنصارى بعد غد، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا)[٣]، كما قال النبي ﷺ، وهذا الحديث في الصحيح، أن نحن لنا الجمعة وهم لهم السبت والنصارى لهم الأحد، فلما اختار اليهود السبت واختار

[٣] [عن حذيفة بن اليمان:] أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الجُمُعَةِ مَن كانَ قَبْلَنا، فكانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وكانَ لِلنَّصارى يَوْمُ الأحَدِ، فَجاءَ اللَّهُ بنا فَهَدانا اللَّهُ لِيَومِ الجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الجُمُعَةَ، والسَّبْتَ، والأحَدَ، وكَذلكَ هُمْ تَبَعٌ لنا يَومَ القِيامَةِ، نَحْنُ الآخِرُونَ مِن أهْلِ الدُّنْيا، والأوَّلُونَ يَومَ القِيامَةِ، المَقْضِيُّ لهمْ قَبْلَ الخَلائِقِ وفي رِوايَةِ واصِلٍ المَقْضِيُّ بيْنَهُمْ. [وفي رواية]: هُدِينا إلى الجُمُعَةِ، وأَضَلَّ اللَّهُ عَنْها مَن كانَ قَبْلَنا، فَذَكَرَ بمَعْنى حَدِيثِ ابْنِ فُضَيْلٍ. مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٨٥٦ • [صحيح]

النصارى الأحد، اختاروه بعيدًا عن الوحي، أما نحن قبلنا الوحي فرضينا بالجمعة فلنا ساعة فقط في اليوم هي التي فيها العبادة، وبقية اليوم مباح لك أن تعمل في الدنيا.

لذلك قال ربنا ﷻ في سورة الجمعة التي ذكر فيها اليهود وأنهم لم يستفيدوا بالأسفار التي كانت معهم ومثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارًا، قال ربنا في ختام هذه السورة: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ}[الجمعة ١٠] نحن مباح لنا أن نبتغي من فضل الله ﷻ بعد الصلاة، لكن هم لا يجوز لهم.

وهذا من كمال هذه الشريعة؛ أن فيها تداخل بين اليوم الذي فيه العبادة والتعامل مع الدنيا، تداخل الدين والدنيا عندنا موجود في هذا الدين فقط، أما عندهم لا بد أن يحدث انفصال تام، يوم كامل تنفصل عن الدنيا، لكن التداخل أن تتداخل أوقات الصلوات بين اليوم، تتداخل أحكام العبادات والمعاملات كما في سورة البقرة، هذا التداخل موجود في الإسلام.

لذلك هذا الدين عصي على العلمنة، **العلمانية هي الفصل**، أن هذه العبادات تكون في أماكن محددة، وأن المعاملات ليس لها علاقة بهذا الدين، فهم لما اختاروا السبت فرض عليهم السبت أن يكون كل اليوم ممنوع فيه العمل بل في بعض الآثار نقلت من التوراة أن من يُرى يوم السبت يعمل في الدنيا يقتل، كانت عقوبة شديدة.

إذًا السبت كان ممنوعًا فيه أي عمل دنيوي، بيع، شراء، صيد، أي شيء، كان كله ممنوعًا عليهم يوم السبت، فلما كان في قرية من القرى التي هي "أيلة" التي كانت حاضرة البحر، هذه القرية انتشر الفسق فيها وانتشرت المعاصي فيها والفواحش.

فلما انتشر الفسق فيها كما قال ربنا في ختام الآية: {كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم}؛ لماذا ابتلاهم الله هذا البلاء؟ {بِمَا كَانُوا} كلهم كانوا المجموع {يَفْسُقُونَ}[الأعراف ١٦٣] بصيغة المضارع، الفسق منتشر ومستمر.

لما انتشر الفسق بينهم عاقبهم الله ﷻ، جعل ربنا -سبحانه وتعالى- الحيتان لا تظهر طوال الأسبوع، طوال الأسبوع لا يوجد حيتان، وقرية حاضرة البحر معناها اقتصاديًا أن من أهم ثرواتها الثروة السمكية، ويعتمدون اعتمادًا كبيرًا على السمك، فلما تكون قرية حاضرة البحر ولا يستطيعون الصيد طوال الأسبوع، وفي يوم السبت الذي حُرم فيه الصيد تأتيهم حيتانهم شرعًا {إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ}[الأعراف ١٦٣]. انتبه لكلمة "تأتيهم حيتانهم"، الحيتان بنفسها هي التي تأتي، وهنا توجد

قاعدة مهمة "**سهولة الرزق لا يعني أنه حلال**"، {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ}[الأعراف ١٦٣] ليس معنى أن الرزق جاءك وانفتح لك فجأة أن تقول "ربنا يحبني"، فقد يكون ابتلاء. سهولة الرزق وأن الحيتان هي التي كانت تأتي بنفسها إليهم {تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ}.

مثال علي ذلك: كعب بن مالك رضي الله عنه لما هجره النبي ﷺ والصحابةُ بعد غزوة تبوك، بعد أن تخلف هو وصاحباه عن غزوة تبوك، فهجره المجتمع، وقُبيل أن تنتهي المدة التي كان هجر فيها كعب بن مالك أتته رسالة من ملك غسان، رسالة ملك، تخيل رسالة من ملك، وقال له (بلغنا أن صاحبك قد جفاك الحق بنا نواسك)[٤]، نحن سمعنا أن الناس لم تعرف قيمتك، تعال إلينا نعينك وزيرًا، هؤلاء لا يعرفون

[٤] [عن كعب بن مالك:] ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ، وَهو يُرِيدُ الرُّومَ وَنَصَارَى العَرَبِ بالشَّامِ، قالَ ابنُ شِهَابٍ: فأخْبَرَنِي عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، أنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ كَعْبٍ كانَ قَائِدَ كَعْبٍ، مِن بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ. قالَ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ، إلَّا في غَزْوَةِ تَبُوكَ، غيرَ أنِّي قدْ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أحَدًا تَخَلَّفَ عنْه، إنَّما خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حتَّى جَمَعَ اللَّهُ بيْنَهُمْ وبيْنَ عَدُوِّهِمْ، علَى غيرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا علَى الإسْلَامِ، وَما أُحِبُّ أنَّ لِي بهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإنْ كَانَتْ بَدْرٌ أذْكَرَ في النَّاسِ منها، وَكَانَ مِن خَبَرِي، حِينَ تَخَلَّفْتُ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ أنِّي لَمْ أكُنْ قَطُّ أقْوَى وَلَا أيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عنْه في تِلكَ الغَزْوَةِ، وَاللَّهِ ما جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ، حتَّى جَمَعْتُهُا في تِلكَ الغَزْوَةِ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فأخْبَرَهُمْ بوَجْهِهِمِ الذي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابُ حَافِظٍ، يُرِيدُ بذلكَ الدِّيوَانَ، قالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَتَغَيَّبَ، يَظُنُّ أنَّ ذلكَ سَيَخْفَى له، ما لَمْ يَنْزِلْ فيه وَحْيٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ تِلكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، فأنَا إلَيْهَا أصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ معهُ، وَطَفِقْتُ أغْدُو لِكَيْ أتَجَهَّزَ معهُمْ، فأرْجِعُ وَلَمْ أقْضِ شيئًا، وَأقُولُ في نَفْسِي: أنَا قَادِرٌ علَى ذلكَ، إذَا أرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ يَتَمَادَى بي حتَّى اسْتَمَرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ معهُ، وَلَمْ أقْضِ مِن جَهَازِي شيئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أقْضِ شيئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ يَتَمَادَى بي حتَّى أسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أنْ أرْتَحِلَ فأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذلكَ لِي، فَطَفِقْتُ، إذَا خَرَجْتُ في النَّاسِ، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، يَحْزُنُنِي أنِّي لا أرَى لي أُسْوَةً إلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عليه في النِّفَاقِ، أوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ حتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقالَ: وهو جَالِسٌ في القَوْمِ بتَبُوكَ ما فَعَلَ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ؟ قالَ رَجُلٌ مِن بَنِي سَلِمَةَ يا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ، فَقالَ له مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ: بِئْسَ ما قُلْتَ، وَاللَّهِ يا رَسُولَ اللهِ، ما عَلِمْنَا عليه إلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا هو علَى ذلكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ به السَّرَابُ فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: كُنْ أبَا خَيْثَمَةَ فَإِذَا هو أبُو خَيْثَمَةَ الأنْصَارِيُّ، وَهو الذي تَصَدَّقَ بصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ المُنَافِقُونَ. فَقالَ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِن تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَثِّي، فَطَفِقْتُ أتَذَكَّرُ الكَذِبَ وَأقُولُ: بمَ أخْرُجُ مِن سَخَطِهِ غَدًا؟ وَأسْتَعِينُ علَى ذلكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِن أهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قدْ أظَلَّ قَادِمًا، زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، حتَّى عَرَفْتُ أنِّي لَنْ أنْجُوَ منه بشَيْءٍ أبَدًا، فأجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَادِمًا، وَكَانَ إذَا قَدِمَ مِن سَفَرٍ، بَدَأَ بالمَسْجِدِ فَرَكَعَ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذلكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ له، وَكَانُوا بضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ منهمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لهمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إلى اللهِ، حتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قالَ: تَعَالَ فَجِئْتُ أمْشِي حتَّى جَلَسْتُ بيْنَ يَدَيْهِ، فَقالَ لِي: ما خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟ قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنِّي، وَاللَّهِ لو جَلَسْتُ عِنْدَ غيرِكَ مِن أهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أنِّي سَأخْرُجُ مِن سَخَطِهِ بعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ، لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليومَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى به عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فيه، إنِّي لأَرْجُو فيه عُقْبَى اللهِ، وَاللَّهِ ما كَانَ لي عُذْرٌ، وَاللَّهِ ما كُنْتُ قَطُّ أقْوَى وَلَا أيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: أمَّا هذا، فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِن بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقالوا لِي: وَاللَّهِ ما عَلِمْنَاكَ أذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هذا، لَقَدْ عَجَزْتَ في أنْ لا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، بما اعْتَذَرَ به إلَيْهِ المُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ، اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لَكَ. قالَ: فَوَاللَّهِ ما زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حتَّى أرَدْتُ أنْ أرْجِعَ

إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، قالَ ثُمَّ قُلتُ لهمْ: هلْ لَقِيَ هذا مَعِي مِن أَحَدٍ؟ قالوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ معكَ رَجُلَانِ، قالَا مِثْلَ ما قُلْتَ، فقِيلَ لهما مِثْلَ ما قيلَ لَكَ، قالَ قُلتُ: مَن هُما؟ قالوا: مُرَارَةُ بنُ الرَّبِيعَةَ العَامِرِيُّ وَهِلَالُ بنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، قالَ: فَذَكَرُوا لي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِما أُسْوَةٌ، قالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُما لِي. قالَ وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ المُسْلِمِينَ عن كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، مِن بَيْنِ مَن تَخَلَّفَ عنْه. قالَ: فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَقالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حتَّى تَنَكَّرَتْ لي في نَفْسِي الأَرْضُ، فَما هي بالأَرْضِ الَّتي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا على ذلكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فأمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا في بُيُوتِهِما يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فأشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ في الأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ فأُسَلِّمُ عليه، وَهو في مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فأقُولُ في نَفْسِي: هلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ، أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا منه وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ على صَلَاتِي نَظَرَ إلَيَّ وإذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حتَّى إذَا طَالَ ذلكَ عَلَيَّ مِن جَفْوَةِ المُسْلِمِينَ، مَشَيتُ حتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهو ابنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عليه، فَوَاللَّهِ ما رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ له: يا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ باللَّهِ هلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ قالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَقالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ، حتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ. فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي في سُوقِ المَدِينَةِ، إذَا نَبَطِيٌّ مِن نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بالمَدِينَةِ يقولُ: مَن يَدُلُّ على كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، قالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ له إلَيَّ، حتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إلَيَّ كِتَابًا مِن مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فإنَّه قدْ بَلَغَنَا أنَّ صَاحِبَكَ قدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بنَا نُوَاسِكَ، قالَ: فَقُلْتُ: حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهذِه أَيْضًا مِنَ البَلَاءِ فَتَيَامَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا، حتَّى إذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الخَمْسِينَ، وَاسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، إذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَأْتِينِي، فَقالَ: إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، قالَ: فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا، فلا تَقْرَبَنَّهَا، قالَ: فأرْسَلَ إلى صَاحِبَيَّ بمِثْلِ ذلكَ، قالَ: فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الحَقِي بأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ في هذا الأَمْرِ، قالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَتْ له: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ هِلَالَ بنَ أُمَيَّةَ شيخٌ ضَائِعٌ ليسَ له خَادِمٌ، فَهلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قالَ: لَا، وَلَكِنْ لا يَقْرَبَنَّكِ فَقالَتْ: إنَّهُ، وَاللَّهِ ما به حَرَكَةٌ إلى شيءٍ، وَوَاللَّهِ ما زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِن أَمْرِهِ ما كَانَ، إلى يَوْمِهِ هذا، قالَ: فَقالَ لي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ في امْرَأَتِكَ؟ فقَدْ أَذِنَ لامْرَأَةِ هِلَالِ بنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، قالَ: فَقُلْتُ: لا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، وما يُدْرِينِي مَاذَا يقولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، إذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، قالَ: فَلَبِثْتُ بذلكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِن حِينَ نُهِيَ عن كَلَامِنَا، قالَ ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، على ظَهْرِ بَيْتٍ مِن بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ على الحَالِ الَّتي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا، قدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بما رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى على سَلْعٍ يقولُ بأَعْلَى صَوْتِهِ: يا كَعْبَ بنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قدْ جَاءَ فَرَجٌ. قالَ: فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ النَّاسَ بتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِن أَسْلَمَ قِبَلِي، وَأَوْفَى الجَبَلَ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الذي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، فَنَزَعْتُ له ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُما إيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهِ ما أَمْلِكُ غَيْرَهُما يَومَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونِي بالتَّوْبَةِ ويقولونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ حتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللَّهِ ما قَامَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ. قالَ فَكَانَ كَعْبٌ لا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ على رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ قالَ: وَهو يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ويقولُ: أَبْشِرْ بخَيْرِ يَومٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ قالَ: فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ؟ يا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِن عِنْدِ اللهِ فَقالَ: لَا، بَلْ مِن عِنْدِ اللهِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، إذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذلكَ، قالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ مِن تَوْبَتِي أَنْ لا أُحَدِّثَ إلَّا صِدْقًا ما بَقِيتُ، قالَ: فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ في صِدْقِ الحَدِيثِ، مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ إلى يَومِي هذا، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ به، وَاللَّهِ ما تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذلكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، إلى يَومِي هذا، وإنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيما بَقِيَ. قالَ: فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ على النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ في سَاعَةِ العُسْرَةِ مِن بَعْدِ ما كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ منهمْ ثُمَّ تَابَ عليهم، إنَّه بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. وعلى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حتَّى إذَا ضَاقَتْ عليهمُ الأَرْضُ بما رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عليهم أَنْفُسُهُمْ} حتَّى بَلَغَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مع الصَّادِقِينَ}. قالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ ما أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِن نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ إذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلإِسْلَامِ، أَعْظَمَ في نَفْسِي، مِن صِدْقِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فأهْلِكَ كما هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، إنَّ اللَّهَ قالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا، حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ، شَرَّ ما قالَ لأَحَدٍ. وَقالَ اللَّهُ: {سَيَحْلِفُونَ باللَّهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيهِم لِتُعْرِضُوا عنْهمْ، فأعْرِضُوا عنْهمْ، إنَّهُمْ رِجْسٌ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بما كَانُوا يَكْسِبُونَ، يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عنْهمْ، فإنْ تَرْضَوْا عنْهمْ، فإنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ}. قالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عن أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ منهمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا له، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لهمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذلكَ قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وعلى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا، وَلَيسَ الذي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا، تَخَلُّفَنَا عَنِ الغَزْوِ، وإنَّما هو تَخْلِيفُهُ إيَّانَا، وإرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ له وَاعْتَذَرَ إلَيْهِ فَقَبِلَ منه. وفي رواية : أن عُبَيْدَ اللهِ بنَ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ عَمِيَ، قالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ، حِينَ تَخَلَّفَ

قيمتك، تخيل رجل آخر غير كعب بن مالك كان سيقول "الله أكبر، جاء النصر ربنا لن يضيعني أبدًا"، هو بذلك سينتكس.

فأحيانًا تُفتح للإنسان فرص يظن أنها فتح وهي بلاء.

ولا سيما -ركز معي- ولا سيما حينما يأتي هذا الرزق –لأن ليس معنى أنه رزق أنه يكون حلالًا أو أنه يكون رضًا من الله-

لا سيما إن جاء هذا الرزق بعد ضيق، هم ظلوا فترة لا يصطادون، فلما وجدوا الحيتان تأتي يوم السبت، وتجرأ البعض وأكل، -وسنذكر الخلاف بين المفسرين في كيف اصطادوا يوم السبت- فظن البعض أن هذا رضا من الله ﷻ.

الخطورة أنه عندما يأتي انفتاح بعد فترة من الضيق، كما حدث مع كعب بن مالك مكث خمسين ليلة بعد أربعين ليلة تقريبا جاءته الرسالة أو ثلاثين ليلة، جاءته رسالة ملك غسان، في منتصف الضيق، الصواب أنك تستمر وتصبر، الإنسان يضيق ويضيق ويضيق عليه فيأتي نوع من أنواع الذي يظنه فتحًا من الله وهو ابتلاء، الحل أنه يستمر في الصبر حتى يأتي الرزق الذي يرضاه الله ﷻ.

من أخطر البلاءات أن يأتي رزق في وقت الضيق وهو حرام، فتكون النفوس تتشوَّف إليه في هذه اللحظات، {إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ}[الأعراف ١٦٣].

إذًا قلنا أن مجيء وإتيان الحيتان لا يعني أن الله يرضى ذلك، وسهولة الرزق لا تعني دائمًا أنه حلال، قد يكون بركة من الله ﷻ قد يكون رزقًا ميسرًا من الله ﷻ للإنسان، نعم لا نرفض ذلك، الله ﷻ ييسر للإنسان الرزق، المؤمن الطائع التقي ييسر الله ﷻ له الرزق ويفتح له من البركات {مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}[فاطر ٢]، لكن أقول لا بد أن يحترز الإنسان.

- {إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ}[الأعراف ١٦٣] اليوم الذى ينبغي فيه أن يعظموا السبت.

عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ وَسَاقَ الحَدِيثَ. وَزَادَ فِيهِ، عَلَى يُونُسَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٧٦٩ • [صحيح]

- {يَومَ سَبتِهِم شُرَّعا} "شُرَّعا" قال يعني الشيء الظاهر القريب، أو إن شُرَّعا تحمل معنيي الظهور والقرب، أي ممكن يحصل عليه بكل بساطة، كما قال ربنا ﷻ عن البلاء بلاء مشابه تقريبًا حدث للصحابة وهم في حالة الإحرام قال إنه –عز وجل– ابتلاهم بالصيد. {تَنَالُهُۥٓ أَيدِيكُم وَرِمَاحُكُم}[المائدة ٩٤] فكلمة تناله أيديكم أي؛ لو مد يده هكذا يجلب الصيد، كان يكون في الخيمة ويأتي الصيد أي؛ يدور حوله الصيد قريب منه جدًا الصحابة، لكن هو محرم، ابتلاهم الله ﷻ أيضًا بنفس البلاء لكن نجح الصحابة في البلاء وعلموا أن الله ﷻ يراقبهم.
- {إِذ يَعدُونَ فِي ٱلسَّبتِ إِذ تَأتِيهِم حِيتَانُهُم يَومَ سَبتِهِم شُرَّعا}[الأعراف ١٦٣] أي؛ تقترب من الشاطئ جدًا تكاد أن تنزل على الشاطئ.
- {يَومَ سَبتِهِم شُرَّعا وَيَومَ لَا يَسبِتُونَ} لا يوجد تعظيم للسبت {لَا تَأتِيهِم}، سبحان الله من الذي عرف الحيتان يوم السبت، تخيل الحيتان تأتي يوم الجمعة ليلًا تستعد غدًا سنذهب لنفتن بني إسرائيل ونعود مرة أخرى، تخيل سبحان الله! الله ﷻ قادر على كل شيء، يملك كل شيء –سبحانه وتعالى–، إذا أراد الشيء قال له: "كن" فيكون، يملك الأرزاق سبحانه وتعالى.

الإنسان عندما يقرأ في كتاب الله ﷻ لا بد أن يتلقى الكلام على أنه حقائق، **خطورة تلقي حقائق الوحي**، الله قادر على كل شيء يأخذ بنواصي الخلق –سبحانه وتعالى–.

فمن الذي أمر الحيتان أن تذهب يوم السبت وتكون بهذه الطريقة وبهذا الظهور؟! في حين إن الأصل في الحيوانات أنها تفر من الصيد، وهذه تقترب منهم كما قال ربنا: {تَنَالُهُۥٓ أَيدِيكُم وَرِمَاحُكُم}[المائدة ٩٤]، من الذي جرأ الحيتان وعرف الحيتان وعلم الحيتان أن تفعل هذا؟ هو الله ﷻ بلاء لهم.

- لذلك قال ربنا: {كَذَٰلِكَ} أي هذا الأمر العجيب {كَذَٰلِكَ نَبلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفسُقُونَ}[الأعراف ١٦٣] **هذا البلاء كان بسبب الفسق وانتشار المعاصي.**

إذًا؛ **من عقوبات المعاصي صعوبة الرزق الحلال**، هذا ما نراه الآن أن الذي يريد رزقًا حلالًا يتعب، وهذه إشكالية كبيرة جدًا، من أكبر الإشكاليات التي تواجه الإنسان الذى يريد أن يعمل في طاعة الله ولنصرة دين الله من أكبر الإشكاليات التي تواجهه قضية الجمع بين الدين والدنيا.

أمر فعلًا في غاية الصعوبة، -أسأل الله السلامة والتوفيق والسداد-؛ لأن أكثر شيء الآن يصرف الناس عن الدين قضية الدنيا، في الطغيان المادي الذي نعيشه الآن، في تحول المركز للعالم كله حول المادة، أصبح الآن تقييم الإنسان أنت تساوي كام، ال CV -السيرة الذاتية- لك أنت كم تساوي؟

وأن الحياة كلها .. أنت في أغلب أو كل المجتمعات تقريبًا من بداية تمييز الطفل يوجه بأن الغرض الأساسي أنه يكون شيئًا كبيرًا في الدنيا وأن يكون معه الكثير من المال فحسب، وبدون أي توجيه معنوي أو توجيه لآخرته، قيمة الإنسان المعنوية الدينية غير موجودة إلا من رحم الله.

فتخيل وجود **إشكالية بالفعل في الموازنة بين الدين والدنيا، وغالبًا لا بد أن يضحي الإنسان وأن يبذل لنصرة دينه**، هذا الذي يريد أن يقدم شيئًا، وقد يجمع الله ﷻ للعبد بين دينه ودنياه، وقد يوفق الإنسان في الدنيا ويسخرها في طاعة الله ﷻ، ويجعلها سيفًا مسلطًا على الأعداء، ويطأ موطئًا في الدنيا يغيظ الكفار، الكفار يغتاظون من وصول بعض المؤمنين لهذه الأماكن.

فالشاهد أن القضية تحتاج موازنة وتوفيقًا وسدادًا ولجوءًا إلى الله ﷻ، لأن هذا بلاء نراه الآن، صعوبة الرزق الحلال وسهولة الحرام، قد يعرض على أحدهم عشرة وظائف، تسعة منهم حرام.

{كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[الأعراف ١٦٣].

- {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[الأعراف ١٦٤]

لكن انتشار الحرام لم يجعل كل الناس تسكت {وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّة مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ}[الأعراف ١٦٤]

- ما الذي حدث أولًا؟ كيف وقع بنو إسرائيل؟ وكيف اعتدوا في السبت؟ هل اعتدوا مرة واحدة أم أن الأمر مر بتطور -تدرج-؟

لو تذكرون -الناس الذين معنا من أول سورة الأعراف- نحن قلنا إن من المواضيع التي تكلمت عنها سورة الأعراف تطور المجتمعات في الفاحشة، وكيف أن المجتمعات لا تقف عند حد معين، بل تتطور.

❖ روايات تفسر اعتداء بنو إسرائيل علي يوم السبت:

١. ما الذي حدث؟

هناك أكثر من رواية، بعض الروايات قالت -ذكرها بعض المفسرين ذكرها الإمام الطبري وغيره- أن الذي حدث أن الحيتان كانت تأتي يوم السبت فالناس كانت تخشى أن تصطاد، فناس من الذين اشتاقوا إلى السمك المشوي فماذا فعل؟ اصطاد سمكة يوم السبت وربطها بحبل وتركها في البحر ثم ذهب يوم الأحد يتظاهر أنه يصطاد، والله أكبر سبحان الله! وهو ربطها مسبقًا في الحبل فأخذها وشوى السمكة فانتشرت رائحة الشوي، فجاره تعجب وقال: أنا لم أشم رائحة الشوي منذ شهور، فاطلع على جاره فوجده يأكل سمك، قال له: أتأكل سمكًا؟ قال: لا، أنا لم آكل سمكًا، فقال له: لا، أنت أكلت سمكًا، اعترف كيف حصلت عليه؟ فقال له على الطريقة: أنا فعلت كذا كذا، فجاره خاف قال: سينزل عليك عذاب من الله.

وهذه إشكالية في الفهم، أنه يعتقد أن العذاب لا بد أن ينزل فورًا، فجاره تركه وهرب، قال: بالتأكيد سينزل عليه خسف أو صاعقة من السماء، فتركه وهرب، فلما هرب مكث يومًا، يومين، وجد الرجل مستمرًا في أكل السمك ولم يصبه عذاب، فقال: إذًا أرجع وهذا الرجل محق فهو لم يصطد يوم السبت، هو اصطاد يوم الأحد، ففعل مثل جاره، فانتشر الموضوع.

وبعضهم قال: لا، الذي حدث أن أحدهم دخل يوم السبت جهارًا نهارًا واصطاد، فأيضًا جيرانه خافوا وهربوا، فلما وجدوا أن العذاب لم ينزل رجعوا واصطادوا.

٢. وبعضهم قال: لا، الذي حدث أنهم كانوا يحفرون حياضًا، ويضعون فيها الشباك يوم الجمعة، فعندما يأتي السمك يوم السبت فإنه يقع في الحوض ثم يأتون يوم الأحد ويخرجون الشباك الممتلئة بالسمك، ففيما يبدو للناس هم ذهبوا للصيد في الجمعة والأحد، ولم يصطادوا يوم السبت.

٣. ومنهم من قال: لا، إن السبت نحن من اخترناه وليس الله هو الذي اختاره فمن حقنا أن نغيره، وبدأ التأويل في شرع الله ﷻ، هناك ناس يؤولون الشرع حتى يناسب الواقع، وهناك ناس يضغطون على الواقع حتى يناسب الشرع، الربّاني هو الذي يحاول أن يجعل الواقع قريبًا وموافقًا للشرع وليس العكس أن يغير الشرع ليوافق الواقع.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمدٍ ﷺ.

كنا توقفنا عند الروايات المختلفة التي ذكرت كيف اعتدى بنو إسرائيل في السبت، فقلنا منهم من اعتدى جهارًا، ومنهم من ذهب ليصطاد خفاءً يوم الجمعة، ويضع السمك يُبيّته في البحر، ثم يصطاده مرة أخرى، يتظاهر أنه اصطاد يوم الأحد، ومنهم من ذهبوا مجموعات ووضعوا الشِباك.

الشاهد أن م**جموع الروايات أن الأمر بدأ خفاءً ثم جهارًا، ثم بعض الروايات قالت حتى باعوها في السوق**، أي أن الموضوع ينتشر كما في {وَإِذا فَعَلوا فاحِشَةً قالوا وَجَدنا عَلَيها آباءَنا} ثم {وَاللَّهُ أَمَرَنا بِها}[الأعراف ٢٨] **في البداية تكون فاحشة وبعدها تصبح ضغطًا مجتمعيًا ثم تكون تقاليدًا، وبعدها تكون دينًا، تطور**.

وتكلمنا أيضًا كيف تطورت المجتمعات في محاربة الأنبياء في سورة الأعراف، فكيف أن من مجموع الروايات، كيف كان الأمر خفاءً ثم جهارًا ثم أصبح يُباع في السوق، حتى ليس محتاجًا أن يذهب ليصطاد.

{كَذلِكَ نَبلوهُم بِما كانوا يَفسُقونَ}[الأعراف ١٦٣] لما انتشر الأمر، بالرغم من انتشار الأمر واحتياج هؤلاء الذين قاموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالرغم من احتياجهم لهذا السمك إلا أنهم جاهدوا أنفسهم وقاموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- {وَإِذ قالَت أُمَّةٌ مِنهُم لِمَ تَعِظونَ قَومًا اللَّهُ مُهلِكُهُم أَو مُعَذِّبُهُم عَذابًا شَديدًا قالوا مَعذِرَةً إِلى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُم يَتَّقونَ}[الأعراف ١٦٤]

جماهير المفسرين على أن المجتمع انقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. قسم رأى أن هؤلاء الذين وقعوا في هذه المعصية لن يعودوا إلى الإيمان ولن يقبلوا النصح، وقيل إنهم جربوا معهم أكثر من مرة، فلما وجدوا إصرارهم على المعصية لم يقوموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهم رأوا أن هذا أمر لا يفيد، تضييع للأوقات ولا يفيد شيئًا.
٢. قسم ثانٍ أصر على الاستمرار في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصروا أن يستمروا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهم كانوا يذهبون كل فترة ويقولون: اتقوا الله، الله ﷻ قد يُنزِّل

عليكم عذابًا، اتقوا الله، مهما تأخر العذاب، ليس معنى أنَّ الله ﷻ لم يعاجلكم بالعقوبة أنَّه لن يُنزّل عليكم العقوبة، إن الله ﷻ يمهل ولا يهمل، واستمروا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣. وقسم ثالث هم الذين وقعوا في المعصية، وهؤلاء كانوا الأكثر، الذين أصروا واستكبروا استكبارًا وكانوا يصطادون يوم السبت، أو كانوا يصطادون وكانوا يحتالون.

لما انقسم المجتمع ثلاثة أقسام، القسم الذي كان لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر وكان لم يقارف المعصية، ذهب إلى القسم الذي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال لهم: {لم تعظون قوما} ما الفائدة أنتم تضيعون الأوقات؟ {لِمَ تَعِظونَ قَومًا اللَّهُ مُهلِكُهُم أَو مُعَذِّبُهُم عَذابًا شَديدًا} لم تفعلون ذلك وتضيعون أوقاتكم؟

{قالوا مَعذِرَةً إلى رَبِّكُم} نطلب العذر من الله حتى إذا سألنا يوم القيامة: ماذا كنتم تفعلون؟ نقول: يا رب كنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ولكن قومنا أعرضوا عنا، {وَلَعَلَّهُم يَتَّقونَ} من الجائز أن فردًا من هؤلاء الألوف المؤلفة يرجع {وَلَعَلَّهُم يَتَّقونَ}، هذا قول جماهير المفسرين.

بعض المفسرين القلة وأول أظن مَن قال هذا الكلام الكلبي من المفسرين المتقدمين، قال: لا، هما فريقان فقط، قسم كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقسم وقع في المعصية، قالوا: إذًا من الذي قال {لِمَ تَعِظونَ قَومًا اللَّهُ مُهلِكُهُم}؟ ومن كان يكلم؟

قال هذا القسم الذي وقع في المعصية –القسم الفاجر– يستهزئ مع القسم الثاني المؤمن ويقول له: إذا كان ربنا سيهلكنا حتمًا فلا تضيعوا وقتكم معنا! يقولون لهم {لِمَ تَعِظونَ قَومًا اللَّهُ مُهلِكُهُم} أليس الله سيعذبنا؟ إذًا فلا تشغلوا بالكم بنا، اهتموا بمصلحتكم.

{لِمَ تَعِظونَ قَومًا اللَّهُ مُهلِكُهُم أَو مُعَذِّبُهُم عَذابًا شَديدًا} أي؛ القسم الذي وقع في المعصية هو الذي قال للقسم الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: لا تضيع وقتك معنا، ألست تقول إن الله سيعذبنا؟ إذًا لا تنشغل بنا، هل فهمتم القول الثاني؟

لكن القول الثاني هذا فيه إشكال {قالوا مَعذِرَةً إلى رَبِّكُم}، هل كان متوقعًا لو هم الذين يتكلمون أن يقولوا: {وَلَعَلَّهُم يَتَّقونَ}؟ واضح أنهم يتكلمون عن قسم ثالث.

كما قلت الذي عليه جماهير المفسرين وهو الأرجح أنهم ثلاثة أقسام.

○ {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[الأعراف ١٦٥]

{فَلَمّا نَسوا ما ذُكِّروا بِهِ} إذًا هم ثلاثة أقسام، القسم الذي قال -لو اخترنا أنهم ثلاثة على رأي جمهور المفسرين-، والقسم الذي ذهب للآمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال له: {لِمَ تَعِظونَ قَومًا} هل هذا القسم حسن أم سيء؟ أي هذا القسم، هل من الذين ربنا نجاهم؟ كما سيأتي {فَلَمّا عَتَوا عَن ما نُهُوا عَنهُ} أو قبلها {فَلَمّا نَسوا ما ذُكِّروا بِهِ أَنجَينَا الَّذينَ يَنهَونَ عَنِ السّوءِ} هل نجا القسمان؟ والثالث الذين وقعوا في المعصية هم الذين أُهلكوا، أم أن ربنا ﷻ نجَّا فقط القسم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والساكت عوقب معهم؟ العلماء اختلفوا على ثلاث أقوال:

١. أنهم أُهلِكوا مع الذين وقعوا في المعصية، أن الساكتين عن النهي عن المنكر وعن الأمر بالمعروف، أهلكهم الله -عزَّ وجل- وهؤلاء قلة من المفسرين الذين اختاروا هذا القول.
٢. وقسم رجح أن الله نجاهم، نجاهم الله قولًا واحدًا.

في بعض الآثار عن ابن عباس أنه كان يرى أنهم أهلكوا، وكان يبكي كلما قرأ هذه الآية، **وكان سيدنا ابن عباس كثير الانشغال بهذه الآية**، كان يقف كثيرًا وهو يسأل، يسأل أكثر من تلامذته، ويسأل أكثر من واحد، يسأل عكرمة، ويتساءل ويقول "يا ليت شِعري أن أعرف ما الذي حدث لهم"، كان مشغولًا، لأنه يقول نحن رأينا منكرًا وسكتنا، هذا ابن عباس، فما بالنا نحن! فتخيل كانت هذه الآية تستوقف ابن عباس كثيرًا، كان يتساءل ويتناقش فيها ويتذاكرها مع تلامذته، وهذا من تواضع ابن عباس، وقيل إن عكرمة لما أقنعه أن الله نجاهم كساه بُردة أو كساه حُلّة، أعطاه هدية لأنه كان خائفًا، ابن عباس خائف أن يُعاقَب.

فقسم رجح أن الله نجاهم، قال لماذا نجاهم الله؟ قال لأنهم كانوا ينهون عن المنكر وكانوا ينهون عن السوء لكن بعد فترة رأوا فقط من باب المصالح والمفاسد -اختلاف وجهات نظر-، فقسم قال نستمر في النهي عن المنكر وقسم قال لا داعي لذلك، أي قسم قال نستمر، فهنا يحدث بعض الاختلافات، كما قلنا في قصة سيدنا هارون مع سيدنا موسى، إذًا يوجد قسم يرى استمرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقسم يرى أن الأمر لا قيمة له، إن هذا من تضييع الأوقات.

٣. قسم ثالث قال: -وهذا مال إليه ابن كثير- لما سكتوا سكت الله عنهم، الجزاء من جنس العمل، الذين تكلموا ربنا نجاهم، والذين وقعوا في المعصية أهلكهم الله، والذين سكتوا سكت الله عنهم.

فسيظل الخلاف قائمًا إلى يوم القيامة، وهذا يُفيد أن الإنسان يظل على وجل، أن الإنسان الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر يكون على وجل، ويتساءل نفس تساؤل ابن عباس، يا ترى ما الذي حدث لهم؟ حتى يكون هذا حافز أن الإنسان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

- {فَلَمّا نَسوا ما ذُكِّروا بِهِ}[الأعراف ١٦٥] **طول الأمد يجعل الناس تنسى الدين**، تنسى أن هناك شيء اسمه حلال وحرام، تنسى أن المفترض قبل أن يعمل أي شيء يسأل هو حلال أم حرام، شيء في البيع والشراء، أمر معين، قبل أن يقدم على شيء {لا تُقَدِّموا بَينَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسولِهِ}[الحجرات ١] قبل أن يُقدِم على شيء لا بد أن يسأل هذا الأمر هل يرضاه الله؟ هل حلال أم حرام؟ {فَلَمّا نَسوا} نسوا أن الصيد كان محرمًا في السبت، الأمر أصبح منتشرًا لدرجة أن المجتمع تناسى، وظهرت أجيال {وَما سَمِعنا بِهذا في آبائِنَا الأَوَّلينَ}[القصص ٣٦]، وأصبح السمك يُباع في السوق عيانًا يوم السبت.
- {فَلَمّا نَسوا ما ذُكِّروا بِهِ أَنجَينَا الَّذينَ يَنهَونَ عَنِ السّوءِ وَأَخَذنَا الَّذينَ ظَلَموا بِعَذابٍ بَئيسٍ}[الأعراف ١٦٥]

وبئيس فيها قراءات كثيرة {أَخَذنَا الَّذينَ ظَلَموا بِعَذابٍ بَئيسٍ} أي شديد، وقيل فيه معنى الفقر والشدة والقوة.

○ {فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[الأعراف ١٦٦]

{وَأَخَذنَا الَّذينَ ظَلَموا بِعَذابٍ بَئيسٍ بِما كانوا يَفسُقونَ * فَلَمّا عَتَوا عَن ما نُهوا عَنهُ}[الأعراف ١٦٥-١٦٦] لأن هنا كان يوجد عتو وفجور، هم انتقلوا من مرحلة الصيد في الخفاء إلى المجاهرة. {فَلَمّا عَتَوا عَن ما نُهوا عَنهُ قُلنا لَهُم كونوا قِرَدَةً خاسِئينَ}

❖ بعض المفسرين وهم الأكثر -ركزوا معي- قال إن الآيتين بنفس المعنى:

آية ١٦٥ {فَلَمّا نَسوا ما ذُكِّروا بِهِ أَنجَينَا الَّذينَ يَنهَونَ عَنِ السّوءِ وَأَخَذنَا الَّذينَ ظَلَموا بِعَذابٍ بَئيسٍ} ما هو العذاب البئيس؟ {قُلنا لَهُم كونوا قِرَدَةً خاسِئينَ} **فالآية ١٦٦ تفسير وتوضيح للآية ١٦٥،**

هذا قول غالب المفسرين الذي رجحه الطبري وغالب المفسرين أن {بِعَذابٍ بَئِيسٍ} هو نفسه {كونوا قِرَدَةً خاسِئِينَ}.

❖ الزمخشري قال -وتَبِعهُ كثير من المتأخرين-: لا، إنهم لما نسوا ما ذُكروا به، أصيبوا بحالة من الفقر والشدة وأنزل الله -عزَّ وجل- عليهم عذابًا معينًا، لماذا فعل الله ذلك؟ حتى يعودوا، فلما طال عليهم الأمد واستمروا على المعصية بالرغم من وجود العذاب البئيس واستمروا في الاصطياد يوم السبت؛ {قُلنا لهؤلاء كونوا قِرَدَةً خاسِئِينَ} فمروا بمرحلتين، **فقال إن ١٦٥ هذا عذاب و١٦٦ هذا عذاب آخر.**

فبعضهم قال: إن آية ١٦٦ {كونوا قِرَدَةً خاسِئِينَ} تفسير للآية السابقة وتوضيح، وبعض المفسرين قال: لا، ليست تفسيرًا ولكن هي مرحلة أخرى وعذاب آخر لما أصروا واستكبروا استكبارًا.

{فَلَمّا نَسوا ما ذُكِّروا بِهِ أَنجَينَا الَّذينَ يَنهَونَ عَنِ السّوءِ وَأَخَذنَا الَّذينَ ظَلَموا بِعَذابٍ بَئيسٍ بِما كانوا يَفسُقونَ * فَلَمّا عَتَوا عَن ما نُهوا عَنهُ}[الأعراف ١٦٥-١٦٦]. على الرأي الثاني: أي بعد نزول العذاب البئيس نزول العذاب الشديد استمروا في العصيان.

- {فلما عتوا عما نهوا عنه قُلنا لَهُم كونوا قِرَدَةً خاسِئِينَ}[الأعراف ١٦٦] والعياذُ بالله، مسخوا.. تخيل حينما يقول الله ﷻ لبشر: {كونوا قِرَدَةً} فيكونوا قردة، هذا المشهد العجيب: الذي يتحول فيه الناس إلى قردة بالفعل، والراجح والذي عليه الجماهير: أنهم أصبحوا قردة بالفعل، لأن بعض المفسرين قال: هذا مسخ نفسي، واستبعدَ أن يحدث هذا.

وهذه إشكالية أيضًا "إشكالية تفسير القرآن تحت ضغط المادِّية المعاصرة" وأنه يخاف أن يقول : إنهم أصبحوا قردة! فيقولون كيف حدث ذلك!

وبعض المتأخرين مثل: رشيد رضا تأثر بشيخه محمد عبده في هذه المسألة أن غالب المعجزات في القرآن كان يحاول أن يجد لها مخرجًا ماديًا متوافقًا مع القوانين الطبيعية المعاصرة، وأن مثلًا "الطير الأبابيل" هذه عبارة عن جراثيم، وأن "فلق البحر" هذا عبارة عن المد والجزر، كان يحاول أن لا يصادم العقلية المعاصرة.

لم لا تقل: هذه قدرة من الملك -سبحانه وتعالى- الذي لا يعجزه شيء -سبحانه وتعالى-؟!

فقال لهم :{كونوا قِرَدَةً خاسِئِينَ}. فأصبحوا قردة .. تخيل الشكل والشعر والهيئة بكلمة منه –سبحانه وتعالى–، فليخش الإنسان أن يُعاقب وأن يُمسخ هذا المسخ والعياذُ بالله.

فإذًا مسخهم الله بصورة حقيقية وأصبحوا قردة، فقد تُمسخ نفسية الإنسان والعياذُ بالله ويصبح كما سيأتي معنا مثال.. { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ }[الأعارف ١٧٦] –والعياذُ بالله– المرة القادمة بإذن الله ﷻ.

تخيل أن الإنسان ممكن أن يُعاقب، فليخش الإنسان من صدور هذه العقوبة فيه، وأن تصدر هذه العقوبة، وذلك بسبب أنهم احتالوا على الشرع.

لذلك قال النبي ﷺ نهانا أن نكون كاليهود، ولا نتعدى حرمات الله بأدنى الحيل، النبي ﷺ نهى أن نتعد حدود الله وأن نفعل كما فعل اليهود بالحِيَل، أنهم كانوا يصطادون معتقدين أنهم يحتالون على ربنا.

يضع الشبكة يوم الجمعة ويأخذها يوم الأحد! ويصطاد السمكة بالصنارة ويربطها ويتركها في البحر!

يحتالون على من؟! يحتالون على من؟!

لذلك توجد معاصي ممكن الإنسان يتعجب، **يعني أكلة حوت .. تمسخهم قِرَدَةً؟!**

كما قال الحسن البصري : "أكلوا أوخم أكلة، وأشدها ذلًا في الدنيا، وأثقلها عذابًا يوم القيامة".

القضية ليست أكلة، القضية في نوع المعصية، إنه احتال!

وليس مثلًا ضعف مرة واصطاد وندم وبكى، مثل سيدنا آدم لما أكل من الشجرة، لا ليس كذلك، هذا احتال وأصبح الموضوع إصرارًا.

وبعد ذلك {كَذلِكَ نَبلوهُم بِما كانوا يَفسُقونَ}[الأعراف ١٦٣]، صيغة المضارع هذه تعني أنهم استمروا؛ لذلك قال ربنا ﷻ {وَاسأَلهُم عَنِ القَريَةِ الَّتي كانت حاضِرَةَ البَحرِ إِذ يَعدونَ}[الأعراف ١٦٣]، {إِذ يَعدونَ} صيغة المضارع "يعدون"، الأمر بالنسبة لهم أصبح مستمرًا، {يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ} استمروا في هذه المعصية فترات من الزمن، وحذرهم وأمرهم القوم بالمعروف ونهوهم عن المنكر وبرغم ذلك أعرضوا! فالقضية في نوع المعصية.

الله ﷻ يغضب أن الإنسان يحتال على الشرع أو يُبدّل الشرع، لكن قبلها مباشرة بدلوا، فأنزل الله رجزًا.

هنا لما احتالوا كانت العقوبة أنهم أصبحوا قردة والعياذُ بالله.

أنت فرحان بعقلك وتحتال؟! أنت تُمسخ قردًا والعياذُ بالله

{فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[الأعراف ١٦٥]

من عجائب بعض المفسرين المعاصرين حقيقة، وهذا أمر أيضًا فيه هزيمة نفسية، أنه يقول هذا يدل أن الإنسان أصله قرد! وأن هذه آية تدل على دَارون والتطور! وهذا أمر عجيب فعلًا، أن يكون مثلًا نظرية منتشرة في العالم فنحن نخضع لها ونؤول القرآن ليناسبها.

وهذا أمر عجيب جدًا للأسف كما قلنا " **خطورة الهزيمة النفسية**" وتكلمنا في مسألة الهزيمة النفسية عند قوله: {كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}[الأعراف ١٣٨] مسألة أننا نريد أن نُقلّد فحسب، فهؤلاء يريدون أن يقولوا: على فكرة قرآننا يثبت نظرية التطور بدليل أن ربنا قال: {كونوا قِرَدَةً خاسِئِينَ}[الأعراف ١٦٥]. أمر عجيب جدًا من بعض المعاصرين، غفر الله لهم الذين وقعوا في هذا الأمر.

اسأل الله العظيم أن يستعملنا وأن يفقهنا في كتابه وأن يستعملنا لنُصرة دينه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.